

## معنى إحياء الثورة السورية

بقلم مايكل بروبستينج، التيار الشيوعي الثوري العالمي (RCIT)، 26 أغسطس 2023، [www.thecommunists.net](http://www.thecommunists.net)

تعتبر موجة الاحتجاجات الجماهيرية اليومية في سوريا منذ 16 آب/أغسطس حدثاً ذا أهمية استثنائية. ولا يمكن إلا أن يرحب بها كل الاشتراكيين والديمقراطيين وأنصار الثورة العربية الكبرى التي انطلقت عام 2011!

وهو أول هجوم جدي للجماهير بعد أن عانت الانتفاضة الشعبية من سلسلة من النكسات والهزائم عقب الأيام المأساوية أواخر عام 2016 عندما حاصرت عصابات الأسد - بدعم من القوات الروسية والإيرانية - الطبقة العاملة المحررة وأغرقتها بالدماء. أحياء مدينة حلب. في السنوات الأخيرة، لم تتمكن الثورة السورية من البقاء إلا بفضل المقاومة البطولية للمقاتلين من أجل الحرية في محافظة إدلب الشمالية الغربية والمناطق المحيطة بها.

لكن الأيام العشرة الأخيرة تشير إلى أن الجماهير قد تعافت واستعدت لإحياء النضال الثوري. ويقع مركز الانتفاضة حالياً في الجنوب، في محافظتي درعا والسويداء. والمنطقة السابقة هي المكان الشهير الذي بدأت فيه الثورة في مارس 2011 بعد أن اعتقل النظام وعذب 15 طالبا شابا بسبب كتابتهم كتابات مناهضة للحكومة. السويداء هي المحافظة الوحيدة في البلاد التي تتمتع بأغلبية درزية والتي كان الأسد يحظى فيها ببعض الدعم.

ومع ذلك بدأت الانتفاضة بالفعل في الانتشار إلى محافظات أخرى تقع تحت سيطرة نظام الأسد أو القوات التي تقودها وحدات حماية الشعب و القوات الاحتلال الأمريكية. ومن بين هذه المدن مدن في محافظة ريف دمشق، وضواحي دمشق، وبلدة جبلة - (بالقرب من مدينة اللاذقية الساحلية، المعقل التقليدي للأسد)، والرقّة، والحسكة، ودير الزور. بالأمس نظم العديد من المتظاهرين مسيرات في المناطق المحررة - بما في ذلك إدلب وريف حلب وأعزاز وعفرين والباب - لإظهار تضامنهم مع الانتفاضة.

وفي كل الأماكن يحتج الناس على الارتفاع الكبير في تكاليف المعيشة وجمعون ذلك مع الهتافات المطالبة بإسقاط طغيان الأسد ويعكس بيان أحد المتظاهرين روح هذا التضامن: "اليوم، خرجت الأتارب، كغيرها من المدن والبلدات للمطالبة بالحرية وإسقاط النظام. نقول للسويداء نحن معك حتى الموت، لدرعا نحن معك حتى الموت، لحلب نحن معك حتى الموت".

هناك بعض السمات المميزة للموجة الجديدة من الاحتجاجات الجماهيرية التي يجب على الثوريين أن يأخذوها بعين الاعتبار. أولاً تشمل هذه الاحتجاجات عدداً من الأقليات الدينية - مثل الدروز والعلويين - والتي لم تلعب دوراً مهماً في الانتفاضة في السنوات التي تلت عام 2011. وحتى الآن كان الدعم الرئيسي لنضال التحرير يأتي من السكان العرب السنة الذين يتعرضون للتمييز - على الرغم من أنهم يشكلون أغلبية الشعب السوري وخاصة العمال والفلاحين الفقراء.

ومن الأهمية بمكان أن يؤكد الثوار السوريون على الطبيعة غير الطائفية للثورة أي أنها تسعى جاهدة لتشمل جميع الفئات - العرب والأكراد والتركمانيين والسنة والشيعية والدروز والعلويين والمسيحيين، إلخ. يجب على جميع أشكال التطرف الطائفي يُقاتل بلا رحمة!

دعونا نكون واضحين: أحد الأسباب - بالإضافة إلى القوات الجوية الروسية والقوات الإيرانية - الذي يجعل نظام الأسد قادراً على البقاء حتى الآن على الرغم من النضال البطولي للشعب السوري هو حقيقة أنه يمكنه الاعتماد على الدعم من المجموعات المميزة نسبياً مثل العلويين. وقد نجح الطاغية في ترسيخ هذا الدعم من خلال إثارة المخاوف بين هذه المجموعات من أن تؤدي الثورة المنتصرة إلى حمام دم بين هذه الأقليات.

ومن ثم فمن الأهمية بمكان أن يواجه الثوار السوريون مثل هذه المخاوف من خلال التأكيد على الطبيعة غير الطائفية للثورة!

ومن اللافت للنظر أن المرأة لعبت دوراً بارزاً في المظاهرات التي شهدتها مدينة السويداء، وهو تطور مرحب به للغاية ويجب أن ينتشر إلى مناطق أخرى!

ومن الأمور المثيرة للاهتمام أيضاً أن بعض القوى تلعب دوراً في الاحتجاجات التي شهدتها محافظة السويداء والتي لم تشارك حتى الآن في النضال التحريري أو لم تكن حتى موالية للنظام. ومن بين هذه الجماعات حركة رجال الكرامة أو فصيل فزعة فخر بقيادة أبو أمير أسامة قلبي. وفي حين أنهم ما زالوا يمتنعون عن الدعوة صراحة إلى إسقاط النظام، إلا أنهم يدعمون الاحتجاجات ويطالبون بـ"تغيير الحكومة".

وفي الواقع فإن قطاعات من الجماهير في السويداء أكثر تقدماً من هذه الفصائل. وبطبيعة الحال يتعين على الثوار أن يرفضوا مثل هذا الموقف التوفيقية، ويتعين عليهم أن يؤيدوا استراتيجية التمرد المسلح لإسقاط طغيان الأسد. ومع ذلك، سيكون من الهزيمة الذاتية أن يرفض الثوار التعاون مع هذا الفصيل التوفيقية في القضايا العملية لدعم الاحتجاجات.

الأهمية الوطنية والعالمية للنضال التحريري المستمر

من الممكن بطبيعة الحال أن تتراجع الموجة الحالية من الاحتجاجات الجماهيرية. ومع ذلك فإن الإحياء الحالي للنضال من أجل التحرير أمر رائع للغاية. غالباً ما يفشل الناس خارج سوريا والعالم العربي في إدراك الشجاعة التي لا تصدق للشعب السوري. منذ بداية الثورة في آذار/مارس 2011، قام نظام الأسد بقتل وتعذيب عدد كبير من الأشخاص. وتشير التقديرات إلى أن أكثر من 600 ألف شخص لقوا حتفهم حتى الآن وأن أكثر من نصف مجموع السكان إما نزحوا داخلياً أو فروا من البلاد.

ومع ذلك وعلى الرغم من التضحيات الكثيرة التي لا يمكن تصورها فإن الشعب السوري لم يتوقف عن محاربة الدكتاتورية الهمجية. دعونا نكون واضحين: بطولة الشعب السوري لا مثيل لها تقريباً في التاريخ الحديث - إذا تركنا جانباً الشعب الفلسطيني العظيم الذي يقاوم الدولة الصهيونية أو الأفغان الشجعان الذين يطردون المحتلين الأمريكيين.

إذا استمرت الاحتجاجات الحالية وتوسعت فقد تفتح أزمة وجودية لنظام الأسد وتؤدي إلى تفكك الخطوط الأمامية المجمدة. وهذا من شأنه أن يحول موقف الثورة السورية من الدفاعي إلى الهجومي ويفتح الفرصة لإسقاط النظام ثورياً.

إن مثل هذه العودة إلى الهجوم الثوري سيكون لها أيضاً عواقب دولية هائلة. لقد رأينا ذلك بالفعل في الفترة 2011-2013 عندما انتشرت الثورة العربية من بلد إلى آخر وأسقطت العديد من الدكتاتوريات مثل ديكتاتوريات بن علي في تونس، أو مبارك في مصر، أو القذافي في ليبيا. كما أجبر الدكتاتور اليمني صالح على الاستقالة كجزء من اتفاق تم التوصل إليه بوساطة. أضف إلى ذلك الانتفاضات البطولية للشعب في إيران ضد نظام الملالي أو الشعب السوداني الذي أسقط دكتاتورية عمر البشير في عام 2019. ولا شك أن الثورة العربية شجعت أيضاً وعززت عزيمة الشعب الفلسطيني الذي - صد أربع هجمات للدولة الصهيونية على غزة منذ 2009/2008.

ومن المؤسف أن العديد من الأنظمة الاستبدادية الرجعية تمكنت من تعزيز حكمها أو حتى ترسيخه في السنوات الماضية. ومن أبرز الأمثلة على هذا الاتجاه، الجنرال السيسي في مصر، وقيس سعيد في تونس، والأسد نفسه أو قوى البرهان وحميدتي الرجعية في السودان (التي سقطت قبل أشهر قليلة لتفتح حرباً أهلية). ومع ذلك، فإن انتفاضة جديدة للثورة السورية يمكن أن تجعل الطغاة يرتعدون مرة أخرى! ومن الممكن أن يكون لها تداعيات خارج العالم العربي والإسلامي.

وأخيراً، لا بد من لفت الانتباه إلى بعض الدروس المهمة المستفادة من الثورة السورية. أولاً، واجه التيار الشيوعي الثوري العالمي (RCIT) انتقادات متكررة من قبل العناصر المحيطة التي رفضت إصرارنا على أن الثورة السورية - على الرغم من النكسات التي تعرضت لها في السنوات الماضية - لم تُهزم. لقد أكدنا مراراً وتكراراً أن الثورة السورية كانت في حالة انهيار ولكنها لم تنته بعد، وأن النضال من أجل التحرير، الذي كان يقتصر في معظمه على إدلب، لا يزال مستمراً.

إن موجة الاحتجاجات الحاشدة الجديدة هي تأكيد تاريخي لإصرارنا، وتخجل كل هؤلاء المرتدين الذين تخلوا عن تضامنهم مع الشعب السوري! وكما قلنا في بياننا قبل أسبوع، فإن "نظام الأسد يبدو قوياً فقط. لكن في الواقع، فهو ضعيف ويعتمد كلياً على دعم بوتين والملالي. وإذا استمرت هذه الاحتجاجات وتعمقت، فإنها يمكن أن تساعد في تجديد الهجوم الثوري لإسقاط طغيان الأسد.

## بعض الدروس

لقد اكتسبت الجماهير تجربة لا تقدر بثمن خلال العقد الماضي من النضال التحرري، بكل ما فيه من تقدم وانتكاسات. وهذا شيء يجب البناء عليه ويجب على الثوريين أن يتعاملوا مع مثل هذه التجربة.

وفي هذه المرحلة، نريد أن نؤكد على بعض الدروس التي تبدو لنا ذات أهمية خاصة. أولاً، من الأهمية بمكان ألا تعتمد قوى النضال من أجل التحرير على القوى الأجنبية. لقد رأينا الكثير من الفصائل التي أصبحت - ضد نواياها الأولية - خادمة للمملكة العربية السعودية أو تركيا أو دول أخرى. وكان هذا تطوراً خطيراً لأن مثل هذا الاعتماد يؤدي حتماً إلى إخضاع مصالح النضال التحرري لمصالح القوة السياسية لهذه الدول.

والدرس الآخر المهم المستفاد من العقد الماضي هو أن المسالمة هي إيديولوجية خطيرة وسخيفة. من المؤكد أن الكفاح المسلح في حد ذاته ليس ضماناً للنصر لأنه بدون استراتيجيات صحيحة فإن أي كفاح يفتقر إلى الاتجاه. لكن الهزيمة مضمونة إذا لم تحمل الجماهير السلاح وتنظم نفسها في ميليشيات شعبية ضد قوات القمع التابعة للنظام!

علاوة على ذلك، من المهم للغاية أن ينظم العمال والفلاحون الفقراء أنفسهم في جمعيات شعبية حيث يناقشون ويقررون بشأن القضايا الحاسمة للنضال. إنها مثل هذه المجالس حيث يجب انتخاب القادة الذين يكونون مسؤولين أمام الجماهير والذين يمكن، إذا لزم الأمر، استبدالهم بممثلين بديلين. يمكن لمثل هذه الأشكال من الديمقراطية المباشرة أن تساعد في تجنب ظهور قادة استبداديين يصبحون فاسدين فيما بعد أو يتحالفون مع قوى أجنبية.

وأخيراً، من الضروري أن تتضافر العناصر الأكثر تقدماً والوعي السياسي بين الناشطين من أجل بناء قيادة ثورية. يجب على أولئك الذين يشاركون في برنامج الإطاحة الثورية بطغيان الأسد واستبداله بسوريا الحرة والاشتراكية، أن يتحدوا في منظمة واحدة. تتطلع RCIT إلى التعاون مع جميع الناشطين المخصصين لمثل هذا البرنامج!

**النصر للنضال التحرري ضد طغيان الأسد وأسياده الإمبرياليين!**

**من أجل حركة تضامن دولية مع الثورة السورية المستمرة!**

**من أجل سوريا حرة، سوريا اشتراكية، سوريا تحترم الحقوق الوطنية والدينية لجميع الناس!**

**عاشت الثورة العربية!**

**الوحدة – النضال – النصر!**